International Summit on Science Technology and Humanity
ISETH 2025
ISSN: 2615-1588 (online)

دراسة في علوم القرآن وتفسيره

Studies in the Science of the Qur'an and Its Interpretation

Rifky[1], Muh. Nur Rochim Maksum[2]

[1,2] Faculty of Islamic Studies, Universitas Muhammadiyah Surakarta, Surakarta, Indonesia

الملخّص

يتناول هذا البحث دراسةً موجزةً في **علوم القرآن وتفسيره**، بوصفها من أشرف العلوم الشرعية وأعظمها منزلة؛ لاتصالها المباشر بكلام الله تعالى، ولما لها من أثرٍ بالغ في الفهم الصحيح للقرآن الكريم والعمل به. يهدف البحث إلى بيان مفهوم علوم القرآن، وفضل دراستها، ونشأتها عبر العصور، مع التركيز على أبرز مباحثها، مثل جمع القرآن الكريم، ومعرفة المكي والمدني، ومناهج التفسير، ولا سيما **التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي**.

وقد عالج البحث مفهوم جمع القرآن الكريم حفظًا وكتابةً، وبيَّن المراحل التاريخية التي مرَّ بها جمع القرآن في عهد النبي ﷺ، ثم في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، مع إبراز دقة المنهج العلمي الذي اتبعه الصحابة في حفظ كتاب الله وصيانته من التحريف. كما تناول البحث قضية المكي والمدني، مبيِّنًا تعريفهما، وطرق معرفتهما، وفوائدهما في فهم السياق القرآني، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، والتدرج في التشريع.

كما خصَّص البحث جانبًا مهمًّا لبيان مناهج التفسير، حيث أوضح مكانة التفسير بالمأثور بوصفه الأصل المعتمد في فهم القرآن الكريم، لاعتماده على النصوص الصحيحة من القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين، ثم ناقش التفسير بالرأي، مبيِّنًا الفرق بين الرأي المحمود المنضبط بضوابط العلم، والرأي المذموم القائم على الهوى والجهل. وخُتم البحث ببيان شروط المفسِّر وآدابه، تأكيدًا على خطورة القول في القرآن بغير علم، وضرورة التحلي بالإخلاص، والتقوى، وسلامة المنهج.

ويخلص البحث إلى أن دراسة علوم القرآن تمثّل أساسًا متينًا للفهم الصحيح للنص القرآني، وتحصينًا للعقيدة، وحمايةً للتفسير من الانحراف، مما يبرز أهمية العناية بهذا العلم تعليمًا وتعلّمًا وبحثًا.

الكلمات المفتاحية : علوم القرآن، التفسير، التفسير بالمأثور، التفسير بالرأي، جمع القرآن، المكي والمدني، شروط المفسر.

Abstract

This study discusses a brief study of the Science of the Qur'an and its Tafsir, which is one of the most noble and high-ranking sharia sciences, because it is directly related to the Kalam of Allah SWT, as well as its great influence in the correct understanding of the Qur'an and its application. The purpose of this research is to explain the concept of the Qur'anic Science, the virtues of studying it, and its development throughout the ages, focusing on its main topics, such as the collection of the Qur'an, knowing the Mecca and Madani, as well as the methods of interpretation, especially the tafsir bil-ma'tsur (based on history) and the tafsir bil-ra'yi (based on opinion). This research also discusses the concept of collecting the Qur'an both through memorization and writing, and explains the historical stages of the collection of the Qur'an during the time of the Prophet صلى الله عليه وسلم, then during the time of the Caliph Rashidun, and highlights the thoroughness of the scientific methods applied by the Companions in keeping the Qur'an from deviations. In addition, this study discusses the problems of Mecca and Madani, explaining the definition, how to know both, and their benefits in understanding the context of the verses of the Qur'an, knowing nasikh and mansukh, and developments in legislation. This research also pays important attention to the method of interpretation, by explaining the position of tafsir bil-ma'tsur as the main basis in understanding the Qur'an, because it is based on authentic texts from the Qur'an, hadith, and the sayings of the companions and tabiin. Then, this study discusses the interpretation of bil-ra'yi, explaining the difference between a good opinion that follows scientific rules and a reprehensible opinion based on lust and ignorance. This research ends by explaining the requirements of a mufassir and ethics in tafsir, emphasizing the importance of not talking about the Qur'an without knowledge, as well as the need for sincerity, piety, and correct methods. The conclusion of this study is that studying the science of the Qur'an is a solid foundation for the correct understanding of the text of the Qur'an, strengthens the faith, and protects the interpretation from deviations, which shows the importance of attention to this science in terms of teaching, learning, and research.

Keywords: Knowledge of the Qur'an, tafsir, tafsir bil-ma'tsur, tafsir bil-ra'yi, collection of the Qur'an, the Mecca and Madani, the conditions of mufassir.

دراسة في علوم القرآن وتفسيره

إنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونَسْتَعِينُهُ، ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.[1]

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا[2].

[1] سورة آل عمران : 102

[2] . سورة النساء : 1

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا[3].

أمّا بعد:

القرآن الكريم كلام الله تعالى, أودع فيه الهدى والنور, وأبان فيه الحكمة والعلم, فاهتدى بنوره العلماء الربانيون, وانبسط الفقهاء من أحكامه, وتفكر المفكرون في قصصه وأخباره.

يُعدّ القرآن الكريم مصدر الهداية الأول في الإسلام، وقد تكفّل الله تعالى بحفظه وبيانه، فقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[5]

والقرآن الكريم كتابٌ إلهيٌّ أُنزل بلسانٍ عربيٍّ مبين، موجَّه للبشرية هدايةً وتشريعاً. وبالرغم من وضوح لغته، فإن عمق معانيه وتنوّع دلالاته وسياقاته التاريخية واللغوية استدعى إنشاء علمٍ خاصٍّ يُعنى ببيان معانيه، وهو علم التفسير. وقد تطوّر هذا العلم عبر القرون، واضعاً مناهج دقيقة لضبط فهم النص القرآني ومنع الانحراف في تفسيره.

تُعدّ علومُ القرآن من أجلِّ العلوم الشرعية وأعظمها قدرًا؛ لاتصالها المباشر بكلام الله تعالى، ولما لها من أثرٍ بالغ في الفهم الصحيح للقرآن الكريم وتفسيره والعمل به. وتتجلّى أهمية دراسة علوم القرآن في الجوانب الآتية :

1.الفهم الصحيح للقرآن الكريم, فعلوم القرآن تمكن الدارس من فهم الآيات القرآنية فهما سليماً منضبطاً

2.سلامة التفسير والاستنباط, تُعد علوم القرآن أساسًا لفهم التفسير الصحيح، إذ لا يصح تفسير آية أو استنباط حكمٍ شرعي دون الإحاطة بقواعد هذا العلم، مما يصون المفسّر من التفسير بالرأي المذموم والهوى.

3.فهم مقاصد الشريعة, من خلال علوم القرآن يتضح منهج القرآن في التشريع، والتدرج في الأحكام، وتحقيق المصالح ودرء المفاسد، مما يعين على فهم مقاصد الشريعة الإسلامية

نسأل الله تعالى أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا.

[3] . سورة الأحزاب : 72
[4] . سورة القيامة : 17
[5] . سورة الحجر : 9

خطة البحث

يشتمل هذا البحث المصغر على ما يلي :

- المقدمة, وهي تشتمل على أهمية دراسة علوم القرآن وفوائدها.

- التمهيد, ويشتمل على ثلاثة مباحث
  1-تعريف علوم القرآن
  2- فضل دراسة علوم القرآن ومكانتها وثمرتها
  3-نشأة علوم القرآن

- الباب الأول, وهو يشتمل على مبحثين اثنين
  1-جمع القرآن الكريم
  2-المكي والمدني

- الباب الثاني, وهو يشتمل على مبحثين اثنين
  1-تفسير القرآن بالمأثور والتفسير بالرأي
  2-شروط المفسر وآدابه

- الخاتمة

- الفهرس والمصادر

التمهيد

المبحث الأول : تعريف علوم القرآن

علوم القرآن مركب إضافي يتكون من كلمتين (علوم) و(القرآن). والعلوم جمع علم, والعلم نقيض جهل, وهو مصدر مرادف للفهم والمعرفة.[6]

القرآن هو كلام الله تعالى المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته.[7] وقال الإمام الزركشي في كتابه " القرآن هو كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد بلفظه ومعناه المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوتهالمعجز بألفاظه المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس"[8]

-قولنا كلام الله : خرج به كلام الإنس والجن والملائكة.

-قولنا المنزل على محمد : خرج به الكتاب المنزل على غيره من الأنبياء كالتورة المنزلة على موسى والإنجيل المنزل على عيسى.

-قولنا المتعبد بتلاوته : خرج به الأحاديث القدسية.

وتعريف علوم القرآن كما ذكره العلماء «مجموعةُ العلوم التي تتناول القرآن الكريم من حيث نزولُه، وجمعُه، وترتيبُه، وكتابته، وقراءاته، وأسبابُ نزولِه، وناسخُه ومنسوخُه، ومحكمُه ومتشابهُه، وإعجازُه، وتفسيرُه، وغيرُ ذلك مما يتصل به اتصالًا مباشرًا.[9]

المبحث الثاني : فضل دراسة علوم القرآن ومكانتها وثمرتها.

علوم القرآن من أفضل العلوم وأشرفها وأسماها, كما قال ابن الجوزي : " لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم, كان الفهم لمعانيه أوفى الفهم, لأن شرف العلم بشرف المعلوم".[10]

دراسة علوم القرآن فيها ثمرات وفوائد جليلة :

---

[6] . دراسات في علوم القرآن الكريم للشيخ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي/ ص :19
[7] . دراسات في علوم القرآن الكريم للشيخ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي/ ص :23
[8] .البرهان في علوم القرآن للزركشي / المجلد الأول/ ص: 229
[9] . الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي/ دار الفكر بيروت المجلد الأول / ص: 24
[10] . زاد المسير في علم التفسير لبن الجوزي / المجلد الأول / ص : 3

-تيسير تفسير القرآن, فعلوم القرآن مفتاح باب التفسير

-معرفة الجهود العظيمة التي بذلها السلف لدراسة القرآن الكريم وعنايتهم الكبرى به وبعلومهز

-التسلح بمجموعة من المعارف القيمة التي تمكن من الدفاع عن القرآن الكريم ضد من يتعرض له من أعداء الإسلام.[11]

المبحث الثالث : نشأة علوم القرآن

1- عهد رسول الله

حين نزل جبريل على رسول الله في غار حراء بأول سورة العلق فشعر رسول الله بالخوف مما رأى, فذهب إلى زوجته خديجة وأخبرها بما حدث في الغار.
وبهذ ا ندرك أن علوم القرآن نشأت منذ وقت مبكر في الإسلام، بل منذ أشرقت شمس الإسلام؛ وذلكم أن حفظ القرآن، وتلاوته، وتدبره، وتفسيره من أهم علوم القرآن الكريم.

2- **في عهد الصحابة رضي الله عنهم:**

وإذا نظرنا إلى حال الصحابة رضوان الله عليهم وجدناهم يتعلمون علوم القرآن مشافهة، ولم يعرف عندهم تدوين لعلوم القرآن لعدة أسباب أهمها:

-أغلب الصحابة كان أميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة

-أدوات الكتابة لم تكن متوافرة عندهم

-الرسول نهاهم عن كتابة شيئ غير القرآن بقوله : " لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه".[12]

3- **في عهد التابعين رحمهم الله تعالى:**

[11] . دراسات في علوم القرآن الكريم للشيخ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي/ ص : 33
[12] . أخرجه مسلم في صحيحه باب التثبت في الحديث وكتابة العلم/رقم 3004/ المجلد الرابع- درا إحياء التراث العربي ببيروت

وحين اتسعت الفتوحات الإسلامية، انتشر الصحابة رضي الله عنهم في البلدان المفتوحة، يعلِّمون أهلها القرآن، ويفسرونه لهم معانيه، وينشرون لهم علومه ومعارفه, ثم ظهرت عندهم مدارس تهتم بدراسة تفسير القرآن, وأشهرها ثلاث مدارس :

- مدرسة أبي بن كعب رضي الله عنه بالمدينة:

وقد كان .رضي الله عنه .أحد كتاب الوحي، وإمام القراء، شهد له الرسول ﷺ بقوله:
"أقرؤهم أبي بن كعب"

ومن أشهر تلاميذه: زيد بن أسلم، وأبو العالية الرياحي، ومحمد بن كعب القرظي.

-مدرسة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في الكوفة:

قال عنه رسول الله : "من أحب أن يقرأ القرآن غضًّا كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد ".[13]
يعني ابن مسعود.

وأخبر هو عن نفسه فقال : " والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة ".

ومن أشهر تلاميذه: علقمة بن قيس، ومسروق بن الأجدع، وقتادة بن دعامة, وأبو عبد الرحمن السلمي.

-مدرسة ابن عباس -رضي الله عنهما – في مكة :

وهو حبر هذه الأمة وترجمان القرآن, وهو الذي دعا له الرسول بقوله : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ".[14]

ومن أشهر تلاميذه سعيد بن جبير, مجاهد بن جبر, عكرمة مولى ابن عباس و عطاء بن أبي رباح.

4 -عهد التدوين :

وفي هذا العهد دُوِّن بعض علوم القرآن الكريم كالقراءات وغيرها، والقرآن والناسخ والمنسوخ، وأما التفسير فكان تدوينه حين بدأ تدوين الحديث النبوي، ومر بمراحل قبل أن يكون على ما هو عليه الآن.

[13] .أخرجه أحمد في المسند رقم: 3591 / المجلد الأول – طبعة مؤسسة الرسالة
[14] . أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب العلم, رقم الحديث 75/ المجلد الأول – طبعة دار طوق النجاة

ثم دُوِّن التفسير مستقلاً، وأصبح علماً قائماً بنفسه، وأشهر من دَوَّنه على هذا النحو يحيى بن سلام البصري (ت 200هـ)، وابن ماجه (ت 273هـ)، وابن جرير الطبري (ت 310هـ)، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري (ت 318هـ)، وابن أبي حاتم (ت 327هـ)، وغيرهم، وكل ما في هذه التفاسير كان بالإسناد.

الباب الأول

جمع القرآن والقرآن المكي والمدني

المبحث الأول : جمع القرآن الكريم

المراد بجمع القرآن:

يطلق جمع القرآن الكريم ويراد به أحد ثلاثة أنواع:

الأول :جمعه بمعنى حفظه في الصدور واستظهاره.
الثاني :جمعه بمعنى كتابته وتدوينه كله حروفًا وكلمات وآيات وسورًا.
الثالث :جمعه بمعنى تسجيله تسجيلًا صوتيًا[15].

النوع الأول: جمعه بمعنى حفظه في الصدور واستظهاره:

ويشهد لهذا النوع قوله تعالى:
﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾.[16]

فالمراد بالجمع هنا الحفظ في الصدور كما ذكر ذلك ابن عباس -رضي الله عنهما - في تفسيره.

وحفظ القرآن كله واجب على الأمة، بحيث يحفظه عدد كبير يثبت به التواتر، وإلا أثمت الأمة كلها، وليس هذا لكتاب غير القرآن، وأما الأفراد فيجب على كل فرد أن يحفظ من القرآن ما تقوم به صلاته.

[15] .دراسات في علوم القرآن الكريم للشيخ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي/ ص: 71
[16] .سورة القيامة : 16-19

والنبي ﷺ لم يترك أمرًا فيه حثٌّ على حفظ القرآن إلا وسلكه وأمر به، فكان يفاضل بين أصحابه بحفظ القرآن، ويسلم الراية لأكثرهم حفظًا للقرآن، وإذا بعث بعث من جعل إمامهم في صلاتهم أكثرهم قراءة للقرآن.[17]

- **حفظ الرسول ﷺ القرآن:**

إدراكًا من الرسول ﷺ للأمانة الكبرى التي كُلِّف بها، وهي أن يبلّغ الناس القرآن:
﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾.[18]

وإدراكًا منه عليه الصلاة والسلام أن تبليغ القرآن يجب أن يكون كما سمعه بلا زيادة ولا نقصان، ولا استبدال لحرف بحرف، أو حركة بحركة، فقد كان عليه الصلاة والسلام يشعر بحرج شديد، وخوف عظيم أن ينسى شيئًا من القرآن، مما جعله يحرّك لسانه بالقرآن لحظة نزول الوحي مع شدة وطأة الوحي، وما يعانيه من الجهد والكرب عند نزوله، وما زال ﷺ كذلك حتى نزل عليه قوله تعالى:
﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[19].

- حفظ القرآن في عهد الصحابة

اشتد التنافس بين الصحابة رضي الله عنهم في حفظ القرآن الكريم وتلاوته وتدبره، وتسابقوا إلى مدارسته وتفسيره والعمل به، وكانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل, وكان رسول الله ﷺ يحثهم على ذلك، ويحرص على سماع تلاوتهم، فقد قال لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه:
" لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود".[20]

وقال لابن مسعود رضي الله عنه: «اقرأ عليَّ القرآن»، فقال ابن مسعود: يا رسول الله أقرأ عليك، وعليك أُنزل؟ قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري»، فقرأ عليه سورة النساء حتى إذا بلغ قوله تعالى:
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾.[21]
قال: «حسبك الآن»، قال ابن مسعود: فالتفت فإذا عيناه تذرفان".[22]

---

[17] . دراسات في علوم القرآن الكريم للشيخ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي/ ص: 72
[18] . سورة القامة : 19
[19] . سورة القيامة : 16-17
[20] .أخرجه البخاري في صحيحه, باب البكاء عند قراءة القرآن, رقم الحديث 5050/ المجلد السادس- طبعة دار طوق النجاة
[21] .سورة النساء : 41
[22] . أخرجه البخاري في صحيحه, باب قول المقرئ للقارئ/ رقم الحديث 5050/ طبعة دار طوق النجاة بيروت

فلا عجب أن يكثر عدد حفاظ القرآن من الصحابة، إذ حفظه في حياة الرسول ﷺ الجم الغفير من الصحابة رضي الله عنهم.

- حفظ القرآن في عهد التابعين -رحمهم الله تعالى –

كان الصحابة رضي الله عنهم ينتشرون في الآفاق الإسلامية والبلدان المفتوحة يعلمون الناس أمور دينهم، وأقبل عليهم كثير من الناس يتعلمون حولهم، ويتلقون العلم منهم، وصار لبعض هذه المدارس شهرة كبيرة حملت كثيرًا من التابعين على الرحلة إليها، كمدرسة ابن مسعود رضي الله عنه في الكوفة، ومدرسة أبي بن كعب رضي الله عنه في المدينة، ومدرسة ابن عباس رضي الله عنهما في مكة، وغيرها من مدارس الصحابة رضي الله عنهم.

وكان الصحابة يعلمون القرآن الكريم ويحفظون أبناءهم، ويفسرون لهم معانيه، ويبينون لهم أحكامه، وقد أقبل التابعون على هذه المدارس، فكثر حفاظ القرآن الكريم، ولم يقتصروا على تلاوته، بل حفظوا أوجه قراءته، واشتهر عدد كبير من الحفاظ بالقراءة والرواية.

- **حفظ القرآن الكريم في العصر الحديث:**

أما في العصور الحديثة فما زالت المسيرة – والحمد لله – مستمرة، يحفظ المسلمون القرآن في صدورهم مع تكالب الأحوال على المسلمين، واضطراب المعيشة، ومغريات الحضارة، وتوافر الموانع، وانكسار الدوافع، وما زلنا نرى كثرة حفاظ القرآن الكريم.[23]

فقد انتشرت مدارس تحفيظ القرآن الكريم العديدة، وأنشئت معاهد للقراءات وكليات للقرآن في العديد من الدول الإسلامية، والحمد لله.

النوع الثاني : جمع القرآن الكريم بمعنى كتابته وتدوينه

القرآن الكريم تم جمعه بهذا المفهوم ثلاث مرات :

[23] . دراسات في علوم القرآن الكريم للشيخ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي/ ص: 77

-الجمع الأول في عهد الرسول ﷺ

-الجمع الثاني في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-

-الجمع الثالث في عهد ثعمان بن عفان -رضي الله عنه-

وأما جمع القرآن في عهد النبي ﷺ فكان الرسول ﷺ له عدد من الصحابة الذين هم كتاب الوحي, فكان إذا نزل عليه شيئ من القرآن أمر أحدهم بكتابته وتدوينه. ومن أشهر كتاب الوحي في عهد النبي ﷺ زيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان وأبي بن كعب وزبير بن العوام وعمرو بن العاص وعبد الله بن رواحة والمغيرة بن شعبة وثابت بن قيس -رضي الله عنهم أجمعين-.

صفة هذا الجمع :

وصف هذا الجمع زيد بن ثابت رضي الله عنه:
" كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع".[24] أي: نجمعه لترتيب آياته من الرقاع.

وروى عثمان بن عفان رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه الشيء، يدعو بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا"[25].

أدوات الكتابة:

لم تكن أدوات الكتابة مسيرة للصحابة في ذلك الوقت، فكانوا يكتبون على كل ما تيسّر لديهم من العُسُب (وهي جريد النخل)، واللِّخاف (وهي الحجارة الرقيقة)، والرِّقاع (وهي القطعة من الجلد)، والأكتاف (جمع كتف، وهي العظم الذي يوضع على ظهر البعير ليُركب عليه).

- مميزات جمع القرآن في عهد الرسول ﷺ:

-كُتب القرآن في عهد الرسول ﷺ على الأحرف السبعة، فقد ثبت في السنة نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف، ومما ورد في ذلك حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيه: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه".[26]

[24] .أخرجه الترمذي في السنن /دار الكتب العلمية / المجلد الثامن /رقم الحديث 3954
[25] .أخرجه أبو داود في السنن, باب في قراءة القرآن/ طبعة دار الرسالة العالمية/ رقم الحديث 457
[26] .أخرجه البخاري في صحيحه, باب أنزل القرآن على سبعة أحرف/ طبعة دار طوق النجاة/ رقم الحديث 4992

-أجمع العلماء على أن جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ كان مرتب الآيات، أما ترتيب السور ففيه خلاف.

-بعض ما كُتب في عهد الرسول ﷺ نُسخت تلاوته، وظل مكتوباً حتى توفي رسول الله ﷺ، وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان فيما أُنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يُحرِّمن، ثم نُسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يُقرأ من القرآن".[27]

- لم يكن القرآن الكريم في عهد رسول الله ﷺ مجموعاً في مصحف واحد، بل كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف واللخاف وغيرها.

- جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-

بعد وفاة رسول الله ﷺ ارتدت بعذ قبائل العرب, فأرسل الخليفة أبو بكر الصديق الجيوش لقتال المرتدين, وكان في أولئك القوم حفظة القرآن الكريم, وكان القتال شديدا فقتل عدد من القراء الذين يحفظن القرآن. فخشي بعذ الصحابة أن يذهب شيئ من القرآن بذهاب أولئك الحفظة القراء.

فأراد أبو بكر الصديق أن يجمع القرآن بمحضر من الصحابة الكرام -رضي الله عنهم-, كان زيد بن ثابت مأمورا بجمع القرآن وتدوينه, فكان يجمع القرآن من العسب واللخاف وصدور الرجال. وكانت الصحف عبد أبي بكر الصديق حتى توفاه الله ثم بقيت عند عمر بن الخطاب ثم عند حفصة بنت عمر.

منهج زيد بن ثابت في جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق.

يقوم المنهج على أسس أربعة :

1. ما كُتب بين يدي رسول الله ﷺ، وأنه مما ثبت في العرضة الأخيرة.
2. ما كان محفوظاً في صدور الرجال.
3. أن لا يُقبل شيئاً من المكتوب حتى يشهد شاهدان على أنه كُتب بين يدي رسول الله ﷺ.
4. أن لا يُقبل من صدور الرجال إلا ما تلقوه من فم الرسول ﷺ، فإن عمر رضي الله عنه ينادي: «من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتنا به»، ولم يقل عمر من حفظ شيئاً من القرآن فليأتنا به.

مميزات جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

[27] . أخرجه مسلم في صحيحه باب التحريم بخمس رضعات/طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت/رقم الحديث 1452

1. جمع القرآن الكريم في هذا العهد على أدق وجوه البحث والتحري والإتقان، وظهر هذا الجمع بإجماع الأمة عليه.
2. أُهمل في هذا الجمع ما نُسخت تلاوته من الآيات.
3. هذا الجمع كان على ما ثبت في العرضة الأخيرة من الأحرف السبعة.
4. هذا الجمع كان مرتب الآيات بالإجماع, واختلف العلماء في السور, هل كانت مرتبة في هذا الجمع أم أن ترتيبها كان في عهد عثمان -رضي الله عنه-.[28]

- جمع القرآن بمعنى نسخه في عهد عثمان بن عفان -رضي الله عنه-.

عندما اتسعت الفتوحات الإسلامية انتشر الصحابة في البلاد المفتوحة يعلمون أهلها القرآن وأمور الدين, وكان كل صحابي يقرئ بما سمعه من الرسول ﷺ وفي بعضه ما لم يثبت في العرضة الأخيرة. ولما اتجه جيش المسلمين لفتح "أرمينية" و"أرذبيجان" حصل الشقاق والنزاع بين الصحابة في قضية القراءة. وكان عثمان بن عفان قد رأى نحو ذلك في المدينة. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك, فأرسلت بها حفصة إلى عثمان.[29]

#اللجنة المختارة :

اختار عثمان بن عفان أربعة صحابة لنسخ المصاحف, فاختار زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

المنهج في هذا الجمع :

تميز هذا الجمع بمزايا عديدة منها:

١ -كتب القرآن على حرف واحد من الأحرف السبعة هو حرف قريش، وقد كتب مجردًا حتى يحتمل أحرفًا أخرى, فإن لم يحتمل إلا حرفًا واحدًا كتب بلسان قريش. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «جمع عثمان رضي الله عنه الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي أطلق لهم رسول الله ﷺ القراءة بها لما كان ذلك مصلحة».[30]

[28] .دراسات في علوم القرآن الكريم للشيخ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي/ ص: 88
[29] . صحيح البخاري باب جمع القرآن/ دار طوق النجاة /رقم الحديث 4987
[30] .الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم الجوزية / ص : 16

٢ -إهمال ما نسخت تلاوته.

فقد كان قصد عثمان رضي الله عنه جمع الناس على مصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه، ومفروض قراءته وحفظه، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد[31].

3-الاقتصار على ما ثبت في العرضة الأخيرة وإهمال ما عداها.

٤ -الاقتصار على القراءات الثابتة المعروفة عن الرسول ﷺ وإلغاء ما لم يثبت.[32]

وقد كان الهدف من جمع القرآن الكريم في عهد عثمان رضي الله عنه .تجريده مما لم يثبت من القراءات في العرضة الأخيرة للقرآن على الرسول ﷺ، وقد كان بعض الصحابة يقرأ قراءة كان قد سمعها من الرسول ﷺ ولم تثبت في العرضة الأخيرة.

٥ -كان مرتب الآيات والسور على الوجه المعروف الآن.

قال الحاكم في المستدرك: إن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة، فقد جمع بعضه بحضرة الرسول ﷺ، ثم جمع بعضه بحضرة أبي بكر الصديق، والجمع الثالث هو في ترتيب السور وكان في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين.[33]

المبحث الثاني : المكي والمدني

من المعلوم أن الرسول ﷺ قضى فترة من حياته في مكة قبل البعثة وبعدها، ثم هاجر إلى المدينة النبوية، وأقام فيها حتى وفاته ﷺ.
وقد نزل عليه القرآن الكريم في الأمصار، والقرى، والجبال، والأودية، والسفوح، والدور، والبوادي، وفي أوقات مختلفة في الليل، والنهار، والسفر، والحضر، والصيف، والشتاء، والسلم، والحرب.

[31] .الإتقان للإمام جلال الدين السيوطي / الملجد الأول/ ص : 60
[32] . كتاب البرهان للشيخ الزركشي / المجلد الأول / ص: 235
[33] .كتاب المستدرك للإمام الحاكم / المجلد الثاني / ص: 229

وقد اعتنى العلماء عناية فائقة في معرفة مكان النزول وزمان النزول لما في معرفة ذلك من فوائد عديدة لفهم النصوص القرآنية، واستيعاب معانيها، واستقصاء مدلولاتها.

وعندما كان القرآن ينزل في مكة أول البعثة كان المسلمون قلة، وكان المشركون كثرة، وللحديث مع الكفار أسلوبه، ولمخاطبة المسلمين طريقتها.

فالقرآن في مكة يدافع عن القلة من المسلمين، ويرفق بهم، وينافح عنهم وسط هذه البيئة من الأعداء المشركين، وهم بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم، ويثبت قلوبهم.

والقرآن في مكة يقارع الخصوم، ويحطم معتقداتهم الزائفة بالحجة والدليل، ويدفع الشبهات، ويبطل الخرافات، ويكشف الأباطيل, وظل القرآن ينافحهم حتى أقام الحجة عليهم، وأنشأ جماعة إسلامية كانت نواة الدولة الإسلامية.

- **أنواع المكي والمدني:**

وهي كثيرة متعددة, ومن أمثلة ذلك ما يلي:

ما نزل في مكة، وما نزل في المدينة، وما اختلف فيه، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلًا، وما نزل نهارًا، وما نزل صيفًا، وما نزل شتاءً، وما نزل في الحضر، وما نزل في السفر، وما نزل مشيعًا، وما نزل مفردًا، والآيات المدنية في السور المكية، والآيات المكية في السور المدنية، وما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة.[34]

- **السور المكية والسور المدنية:**

اختلف العلماء في عدد السور المدنية، وقد نقل السيوطي عن ابن الحصار أن المدني عشرون سورة، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة، وما عدا ذلك مكي.[35]

- **السور المدنية: عشرون سورة, وهي كالتالي :**

[34] . كتاب البرهان في علوم القرآن للشيخ الزركشي / المجلد الأول/ ص : 192
[35] .كتاب الإتقان لجلال الدين السيوطي / المجلد الأول/ ص: 11

١ -البقرة.
٢ -آل عمران.
٣ -النساء.
٤ -المائدة.
٥ -الأنفال.
٦ -التوبة.
٧ -النور.
٨ -الأحزاب.
٩ -محمد.
١٠ -الفتح.
١١ -الحجرات.
١٢ -الحديد.
١٣ -المجادلة.
١٤ -الحشر.
١٥ -الممتحنة.
١٦ -الجمعة.
١٧ -المنافقون.
١٨ -الطلاق.
١٩ -التحريم.
٢٠ -النصر.

واختلفوا في اثنتي عشرة سورة, وهي كالتالي :

١ -الفاتحة.
٢ -الرعد.
٣ -الرحمن.
٤ -الصف.
٥ -التغابن.
٦ -المطففين.

٧ -القدر.
٨ -البينة.
٩ -الزلزلة.
١٠ -الإخلاص.
١١ -الفلق.
١٢ -الناس.

- **السور المكية:**

ما عدا السور المذكورة فهي سور مكية، وعددها اثنتان وثمانون سورة.

- **طريق معرفة المكي والمدني:**

يُعرف المكي والمدني بأحد طريقين:

-الطريق الأول: النقلي السمعي:

وهي الآيات والسور التي عرفنا أنها مكية أو مدنية بطريق الرواية عن أحد الصحابة الذين عايشوا فترة الوحي وشاهدوا التنزيل، أو عن أحد التابعين الذين سمعوا ذلك من الصحابة.

أما النبي ﷺ فلم يرد عنه بيان السور المكية والسور المدنية؛ لأن هذا مما شاهده وبحضرة الصحابة رضي الله عنهم، فكيف يُخبرهم عن شيء يعلمونه؟ فالمكي والمدني يُعرف بغير نص من الرسول ﷺ.

-الطريق الثاني : القياسي الاجتهادي

نظر العلماء رحمهم الله تعالى في الآيات والسور التي عرفوا أنها مكية أو مدنية بالطريق الأول (السمعي النقلي)، واستنبطوا خصائص وضوابط للسور المكية، وخصائص وضوابط للسور المدنية، ثم نظروا في السور التي لم يرد نصوص في بيان مكان نزولها، فإن وجدوا فيها خصائص السور المكية قالوا: إنها مكية، وإن وجدوا فيها خصائص السور المدنية قالوا: إنها مدنية، وهذا يكون بالاجتهاد والقياس، فسمي هذا الطريق بالقياسي الاجتهادي.

- **تعريف المكي والمدني:**

اختلف العلماء في المراد بالمكي والمدني، ومتى تسمى السورة أو الآية مكية أو مدنية إلى ثلاثة أقوال:

يرجع اختلافهم إلى المعتبر في النزول، فمنهم من اعتبر مكان النزول، ومنهم من اعتبر زمن النزول، ومنهم من اعتبر المخاطَبين بالآيات أو السورة، وعلى هذا:

-**القول الأول :** الطائفة اعتبرت مكان النزول فقالت: ما نزل في مكة وما حولها ولو بعد الهجرة، فهو مكي، وما نزل في المدينة وما حولها، فهو مدني.

وهذا القول غير ضابط ولا حاصر؛ إذ إنه لا يشمل ما نزل من الآيات في غير مكة، والمدينة، وما حولهما، فقد نزلت آيات قرآنية في تبوك وفي بيت المقدس، وفي الطائف، فالتعريف غير ضابط.

-**القول الثاني :**لطائفة اعتبرت المخاطَب بالآية أو السورة، وهذه الطائفة نظرت إلى أهل مكة وقت التنزيل، فوجدت أن الغالب عليهم الكفر، والمناسب لمخاطبتهم النداء بـ«يا أيها الناس» أو «يا بني آدم»، وبما أن الغالب على أهل المدينة هو الإيمان، فإن المناسب نداءهم بـ«يا أيها الذين آمنوا»، وعلى هذا فالمكي عندهم ما كان فيه «يا أيها الناس» أو «يا بني آدم»، والمدني ما كان فيه «يا أيها الذين آمنوا.«

وهذا القول أيضًا غير ضابط ولا حاصر من وجهين:

الأول :ضعَّف هذا القول ابن الحصار فقال: اتفق الناس على أن «النساء» مدنية وأولها «يا أيها الناس»، وعلى أن «الحج» مكية وفيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ (١)، وقال غيره : هذا القول إن أُخذ على إطلاقه فيه نظر، فإن سورة البقرة مدنية وفيها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾.
و﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾.
وسورة النساء مدنية وأولها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾.
وبهذَا يكون هذا القول غير ضابط وغير حاصر.

الثاني :أن هناك آيات كثيرة وسورًا عديدة ليس فيها نداء «يا أيها الناس»، أو «يا أيها الذين آمنوا»، وهذا القول لا يشملها فلا يكون ضابطًا ولا حاصرًا.

القول الثالث :لطائفة اعتبرت الزمان، ورأت أن الهجرة هي الحد الفاصل بين المكي والمدني، فما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني وإن نزل في مكة، قالوا: وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ﷺ المدينة فهو من المكي[36].

وهذا التعريف ضابط وحاصر لا تخرج عنه آية من آيات القرآن الكريم، وعليه فإن قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ مدنية مع أنها نزلت في عرفات بمكة، بل إن قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ مدنية مع أنها نزلت في جوف الكعبة.

- مميزات السور المكية

من المعلوم أن ما نزل من القرآن في مكة كان يخاطب مجتمعًا وثنيًا فشا فيه الشرك، وانتشرت فيه الأصنام، ولم يلقَ الدعوة الإسلامية بالقبول والتسليم، بل أخذ يناوئها العداء, ويحارب رسولها.

وفي المدينة كان القرآن الكريم غالبًا يخاطب أتباعه المؤمنين، يأمرهم فيمتثلون إليه، وينهاهم فينتهون عما نهى عنه.

وإذا كان الأمر كذلك فلا شك أن البلاغة تقتضي الاختلاف في الأسلوب، والاختلاف في المعاني والموضوعات بين ما نزل في مكة، وما نزل في المدينة، فمن مميزات السور المكية كالتالي :

١ -تأسيس العقيدة الإسلامية في النفوس بالدعوة إلى عبادة الله وحده، والإيمان برسالة محمد ﷺ، وباليوم الآخر، وإبطال المعتقدات الوثنية الجاهلية، وعبادة غير الله، وإيراد الحجج والبراهين على ذلك.

٢ -تشريع أصول العبادات والمعاملات والآداب والفضائل العامة، ففي مكة فرضت الصلوات الخمس مثلًا، وحُرِّم أكل مال اليتيم ظلمًا، كما حُرِّم الكبر والخيلاء ونحوها.

٣ -الاهتمام بتفصيل قصص الأنبياء والأمم السابقة، وبيان ما دعا إليه الأنبياء السابقون من عقائد، ومواقف أممهم منهم، وما نزل بالمكذبين من عذاب دنيوي جزاء تكذيبهم، وإيراد الحوار بين الأنبياء وخصومهم، وإبطال حججهم بما يوحي إلى أهل مكة بوجوب أخذ العبرة من أولئك القوم.

[36] . كتاب البرهان للشيخ الزركشي/ المجلد الأول/ ص: 188

4-قصر السور والآيات مع قوة جرس الألفاظ وإيجاز العبارة مع بلاغة المعنى. وذلك أن الناس في مكة كانوا معاندين مستكبرين لا يريدون سماع القرآن, فلا يناسب هذا الوضع طول الآيات والمقاطع, بل يناسبه الإيجاز وقوة المعنى.

*مميزات السور المدنية :

١ -يخاطب القرآن في المدينة غالبًا مجتمعًا إسلاميًا، فكان الغالب تقرير الأحكام التشريعية للعبادات والمعاملات والحدود والفرائض، وأحكام الجهاد وغيرها.

٢ -نشأ في المجتمع المدني طائفة من المنافقين، فتحدث القرآن الكريم عن صفاتهم، وهتك أسرارهم، وبيَّن خطرهم على الإسلام والمسلمين، وكشف عن وسائلهم ومكائدهم وخبائثهم ومخططاتهم للكيد للمسلمين، ولم يكن في مكة نفاق لأن المسلمين كانوا قلة مستضعفين، فكان الكفار يحاربونهم جهرًا وعلناً.

٣ -عاش بين المسلمين في المدينة طائفة من أهل الكتاب وهم اليهود، وكانوا يمكرون مكرًا سيئًا، ويكيدون للإسلام وأهله، فكشف القرآن في المدينة سرائرهم، وأبطل عقائدهم، وكشف تحريفهم لديانتهم، وبيَّن بطلان عقائدهم، ودعاهم إلى الإسلام بالحجة والدليل والبرهان.

٤ -الغالب على الآيات والسور المدنية طول المقاطع والسور لبسط العقائد الإسلامية، والأحكام التشريعية، فقد كان أهل المدينة مسلمين يقبلون على سماع القرآن، وينصتون حتى كأن على رؤوسهم الطير.[37]

*فوائد معرفة المكي والمدني :

١ -تمييز الناسخ من المنسوخ، فإذا تعارض الناسخ والمنسوخ قُدِّم المتأخر.

٢ -الاستدلال به في تفسير القرآن الكريم؛ إذ معرفة مكان النزول يعين على فهم الخطاب بالآيات، ومعرفة مناسباتها وما نزل فيها من الحوادث أحيانًا.

٣ -معرفة تاريخ التشريع والتدرج في التكليف؛ ويترتب على هذا الإيمان بأن هذا التشريع لا يكون إلا عن رب عليم حكيم رحيم.

[37] . دراسات في علوم القرآن الكريم للشيخ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي / ص : 145

٤ -الاستفادة من أسلوب القرآن في الدعوة إلى الله تعالى؛ فهو أسلوب يناسب ويخاطب ويجادل، ويقنع ويؤثر، ويرغّب ويرهب، ويقرع ويخاطب حسب أحوال المخاطبين، وهذا من أسرار الإعجاز في القرآن الكريم.[38]

٥ -استعراض سيرة الرسول ﷺ وذلك بملاحظة أحواله في مكة ومواقفه في الدعوة، ثم أحواله في المدينة وسيرته في الدعوة إلى الله فيها.

6- بيان عناية المسلمين بالقرآن الكريم واهتمامهم به، حتى إنهم لم يكتفوا بحفظ النص القرآني، بل تتبعوا مكان نزوله، ومعرفة ما نزل قبل الهجرة، وما نزل بعدها، وما نزل بالليل، وما نزل بالنهار، وما نزل في الصيف، وما نزل في الشتاء، ويتبع هذا الاقتداء بهم في دراسة القرآن وعلومه[39].

الباب الثاني

تفسير القرآن الكريم

المبحث الأول : التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي

- تعريف التفسير

اختلف علماء اللغة في لفظ التفسير:

قيل :هو تفعيل من (الفَسْر) بمعنى الإبانة وكشف المراد عن اللفظ المشكل. قال تعالى:
﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[40]
أي: تفصيلاً.

وقيل :هو مقلوب من سَفَرَ، ومعناه أيضاً الكشف، يقال: سفرت المرأةُ سُفوراً إذا ألقت خمارها عن وجهها، وهي سافرة، وأسفر الصبح أضاء.[41]

---

[38] . مباحث في علوم القرآن للشيخ صبحي الصالح / ص: 233
[39] . دراسات في علوم القرآن الكريم للشيخ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي / ص: 147
[40] . سورة الفرقان : 33
[41] .كتاب البرهان للزركشي/ المجلد الأول/ ص: 147

وأما تعريف التفسير في الاصطلاح:

التفسير :علم يُفهم به كتابُ الله تعالى المُنَزَّل على نبيِّه محمد ﷺ وبيانُ معانيه واستخراجُ أحكامه وحِكمه.[42]

مناهج التفسير:

لم يكن الصحابةُ – رضي الله عنهم – ولا الناسُ من بعدهم أيضاً على درجةٍ واحدةٍ في فهم القرآن الكريم، بل كانوا يتفاوتون في ذلك، فقد كان يُشكل على بعضهم ما لا يُشكل على بعضهم الآخر.

ويرجع ذلك إلى تفاوتهم في معرفة اللغة ومعرفة ما يحيط بنزول الآية من أحداثٍ وملابساتٍ كأسباب النزول.

ولو تساوت الأذهان في إدراك معاني القرآن لبطل التنافس، وخمدت الهمم، لكن الله بحكمته جعل ألفاظ القرآن تحتمل أحياناً معاني كثيرة، وأمر الناس بالتدبر والتفكر فيها، وحثَّ على ذلك، فتنافس الصحابة وسائر المسلمين من بعدهم في تفسيره لينالوا الأجر العظيم، والثواب الجزيل.

وسلك العلماء منهجين أساسيين لتحصيل معاني القرآن هما:

١ -التفسير بالمأثور.
٢ -التفسير بالرأي.

- **القسم الأول : التفسير بالمأثور**

هو بيان معنى الآية بما ورد في الكتاب أو السنة أو أقوال الصحابة رضي الله عنهم.

فهو التفسير الذي يعتمد على صحيح المنقول، ولا يجتهد في بيان معنى من غير دليل، ويتوقف عما لا تثبت صحته، ولا فائدة في معرفته.

- **مكانته:**

هو أفضل أنواع التفسير وأعلاها؛ لأن التفسير بالمأثور إما أن يكون تفسيراً للقرآن بكلام الله تعالى، فهو أعلم بمراده، وإما أن يكون تفسيراً للقرآن بكلام الرسول ﷺ، فهو المُبيِّن لكلام الله تعالى، وإما أن يكون

[42] .كتاب البرهان للزركشي / المجلد الأول / ص:13

بأقوال الصحابة، فهم الذين شاهدوا التنزيل، وهم أهل اللسان، ويمتازون عن غيرهم بما شاهدوه من القرائن والأحوال حين النزول.

لكن ينبغي أن يُعلم أن هذا مشروط بصحة السند عن الرسول ﷺ، أو عن الصحابة رضي الله عنهم.

- **مصادر التفسير بالمأثور:**

وتسمى (طرق التفسير بالمأثور) وهي:

١ -القرآن:

تفسير القرآن بالقرآن أفضل طرق التفسير، ومن أمثلته تفسير الكلمات في قوله تعالى:
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ o صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [43]
بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾[44]

٢ -السُّنَّة

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[45]

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: السُّنَّةُ تُفَسِّرُ القرآنَ وتُبَيِّنُه.[46]

ومن أمثلة تفسير القرآن بالسنة: تفسير المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى، وتفسير الخيط الأبيض والخيط الأسود بأنه بياض النهار وسواد الليل.

٣ -أقوال الصحابة:

وإذا لم تجد تفسير القرآن في القرآن ولا في السنة فعليك بتفسير الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم أعلم بذلك, وكانوا يستمعون لتفسير القرآن من الرسول ﷺ.

---

[43] . سورة الفاتحة : 6
[44] . سورة النساء : 69
[45] . سورة النحل : 44
[46] . الجامع لأحكام القرآن للقرطبي / المجلد ألأول / ص:34-35/ مكتبة دار الفكر بيروت

٤ -أقوال التابعين:

وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في الرجوع إلى أقوال التابعين إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة، فمنهم من عدَّ أقوال التابعين مصدراً من مصادر التفسير بالمأثور، ومنهم من عدَّها كسائر أقوال العلماء.

- **حكم التفسير بالمأثور:**

إن التفسير بالمأثور ينقسم إلى قسمين:

١ -ما تواترت الأدلة على صحته. فهذا يجب قبوله، ولا يجوز العدول عنه.

٢ -ما لم يصح فيجب رده، ولا يجوز قبوله، ولا الاشتغال به إلا للتحذير منه.

- **أهم المؤلفات فيه:**

والمؤلفات في التفسير بالمأثور كثيرة ومن أهمها:

1- جامع البيان عن تأويل آي القرآن

هذا الكتاب ألفه أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، وُلِدَ في طبرستان سنة ٢٢٤ هـ، وتوفي في بغداد سنة ٣١٠ هـ.[47]

كان عالماً بالقراءات، وإماماً في التفسير، بارعاً في الحديث، وشيخاً للمؤرخين، انفرد في الفقه بمذهب مستقل وأقاويل واختيارات، وله أتباع ومقلدون.[48]وقال ابن خزيمة: ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير.[49]

يتميز تفسير ابن جرير الطبري بمزايا :

-اعتماده على التفسير بالمأثور عن الرسول وأصحابه والتابعين.

[47] . كتاب طبقات المفسرين للداودي / المجلد الثاني / ص:114
[48] .طبقات المفسرين للسيوطي / ص:96
[49] . كتاب طبقات المفسرين للداودي / المجلد الثاني / ص:111

-التزامه بالإسناد في الرواية

-عنايته بتوجيه الأقوال والترجيح

-ذكره لوجوه الإعراب

-دقته في استنباط الأحكام الشرعية من الآيات.

2- تفسير القرآن العظيم

هذا الكتاب ألفه أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي. ويُعَدُّ تفسير ابن كثير من أشهر ما دُوِّن في التفسير بالمأثور، ويعتبر في المرتبة الثانية بعد تفسير ابن جرير الطبري.

قال السيوطي في ترجمة ابن كثير: له التفسير الذي لم يُؤلَّف على نمط مثله.[50]

وطريقته في التفسير أن يذكر الآية، ثم يفسرها بعبارة سهلة، موجزة، ويجمع الآيات المناسبة لها، ويقارن بينها، وتفسيره أكثر كتب التفسير المعروفة سرداً للآيات المتناسبة في المعنى الواحد.

ثم يورد الأحاديث المرفوعة التي لها صلة بالآية، ثم يردف هذا بأقوال الصحابة والتابعين وعلماء السلف.

وبالجملة يُعَدُّ تفسيره – رحمه الله تعالى – من أفضل المؤلفات في التفسير، وقد طبع مرات كثيرة مع تفاسير أخرى، ومستقلاً في أربعة مجلدات كبار، واختصره عدد كبير من العلماء، منهم الشيخ أحمد شاكر، والشيخ محمد نسيب الرفاعي وغيرهما.

- **القسم الثاني : التفسير بالرأي**

المقصود بالتفسير بالرأي هو تفسير القرآن بالاجتهاد.

وينقسم التفسير بالرأي إلى قسمين:

الأول: التفسير بالرأي المحمود وهو التفسير المستمدّ من القرآن ومن سنة الرسول ﷺ، وكان صاحبه عالماً باللغة العربية، وأساليبها، وقواعد الشريعة وأصولها.

[50] .الإتقان في علوم القرآن للسيوطي/طبعة دار الكتب العلمية بيروت/ ص: 56-57

ما حكم التفسير بالرأي ؟

فأجاز العلماء رحمهم الله تعالى هذا النوع من التفسير، ولهم أدلة كثيرة على ذلك منها:

-قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[51]
وغيرها من الآيات التي تدعو إلى التدبر في القرآن.

-دعاء الرسول ﷺ لابن عباس بقوله: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، ولو كان التفسير مقصوراً على النقل، ولا يجوز الاجتهاد فيه، لما كان لابن عباس مزية على غيره.

-وأيضا كان الصحابة رضي الله عنهم يختلفون في التفسير على وجوه، فدل ذلك على أنه من اجتهادهم.

وبهذا يظهر لنا أن التفسير بالرأي المحمود جائز. والله أعلم.

الثاني : التفسير بالرأي المذموم

هو التفسير بمجرد الرأي والهوى. وأكثر الذين فسروا القرآن بمجرد الرأي هم أهل الأهواء والبدع، الذين اعتقدوا معتقدات باطلة ليس لها سند ولا دليل، ففسروا آيات القرآن بما يوافق آراءهم ومعتقداتهم الزائفة، وحملوا على ذلك بمجرد الرأي والهوى.

وهذا النوع من التفسير حرام لا يجوز. قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام»[52]، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

١ -قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[53] وقال سبحانه:﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[54]

٢ -قال رسول الله في حديثه: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»[55]

- أهم المؤلفات في التفسير بالرأي :

[51] . سورة محمد :24
[52] . مقدمة أصول التفسير لابن تيمية / ص:105
[53] . سورة البقرة : 169
[54] . سورة الإسراء : 36
[55] . أخرجه الترمذي في السنن, باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه/ طبعة دار الغرب الإسلامي/رقم الحديث : 295

-أولًا: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للشيخ الزمخشري.

وهو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المعتزلي، الملقب بجار الله، ولد سنة ٤٦٧هـ في زمخشر من قرى خوارزم، وبعد أن تلقى العلم رحل إلى مكة، وألف فيها تفسيره «الكشاف»، ثم عاد إلى خوارزم، وتوفي فيها سنة ٥٣٨هـ. وهو إمام من أئمة اللغة، وكان منتسباً إلى الاعتزال بل يجاهر به، ويدعو إليه.

تفسيره:
اعتنى الزمخشري في تفسيره هذا ببيان وجوه الإعجاز القرآني وإظهار جمال النظم وبلاغته، وخلا هذا التفسير من الحشو والتطويل، وإيراد الإسرائيليات إلا القليل.

وملأ تفسيره بمقاصد المعتزلة والاستدلال لها، وتأويل الآيات وفقها، ويدس ذلك دسًا لا يدركه إلا حاذق، حتى قال البيضاوي: «استخرجت من الكشاف اعتزالًا بالمناقيش»[56].

ثانياً : مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي, وهو أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين. ولد سنة 544 وتوفي في هراة سنة 606.

وقد جمع كثيراً من العلوم, وكان إماماً في التفسير وعلوم الكلام. وكان طبيبًا حاذقًا، وقد ندم على الاشتغال بعلم الكلام، وكان يقول: ليتني لم أشتغل بعلم الكلام، ثم يبكي.[57]
ومن مؤلفاته: «مفاتيح الغيب»، و«المحصول في علم الأصول»، و«نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز».
يُعدُّ تفسير «مفاتيح الغيب» أوسع التفاسير في علم الكلام، فقد تأثر كثيرًا بالعلوم العقلية، فتوسع فيها، وسلك في تفسيره مسلك الحكماء والفلاسفة وعلماء الكلام، واستطرد في العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والمسائل الطبية، وملأ تفسيره بهذه العلوم، حتى قيل عنه: «فيه كل شيء إلا التفسير»[58].

المبحث الثاني : شروط المفسروآدابه

ورد النهي عن القول في القرآن بغير علم والوعيد الشديد على من فعل ذلك، ولذلك وضع العلماء شروطًا لمن أراد أن يفسر القرآن ليخرج من هذا الوعيد ويصبح من أهل التفسير والتأويل.

[56] . الإتقان في علوم القرآن للسيوطي/ المجلد الثاني /ص:190
[57] . طبقات المفسرين للداودي المجلد الأول /ص:215
[58] .الإتقان في علوم القرآن للسيوطي / الملجد الثاني /ص:290

ولا عجب أن يكون للمفسر شروط، بل العجب أن يجترئ على كلام الله كل من هبَّ ودبَّ.

وكم من رجل منهم فسر آية لو عُرضت على أبي بكر رضي الله عنه لقال: أيُّ أرضٍ تقلني، وأيُّ سماءٍ تظلني، إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم، وإن أحدهم ليفسر الآية ولو سمعه عمر رضي الله عنه لقرعه بدرته.

وقد يقول قائل: لماذا وضع العلماء هذه الشروط؟ أليس القرآن للناس كافة، وتدبره واجب على الجميع؟ ونقول لهذا وأمثاله: نعم، إن تلاوة القرآن حق لكل مسلم، لكن تفسيره للناس وبيانه لهم ليس حقًا لكل إنسان، كأي علم آخر فالطب مثلًا حق لكل إنسان أن يدرسه، لكن علاج الناس ليس حقًا لكل إنسان، إلا إذا درس علم الطب وفهمه فهماً.

ومجمل الشروط التي وضعها العلماء للمفسر كالتالي :

أولًا: سلامة العقيدة:
فإن من انحرفت عقيدته يعتقد رأيًا ثم يحمل ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين. فإذا فسر القرآن أول الآيات التي تخالف مذهبه الباطل، وحرفها حتى توافق مذهبه. ومن أمثال هؤلاء فرق الخوارج، والروافض، والمعتزلة، وغلاة الصوفية وغيرهم.

ثانيًا: التجرد عن الهوى:
فإن الهوى يحمل صاحبه على نصرة مذهبه ولو كان باطلًا، ويصرفه عن غيره ولو كان حقًا.

ثالثًا: أن يكون المفسر عالمًا بأصول التفسير:
وذلك أن أصول التفسير بمثابة المفتاح لعلم التفسير، فلا بد للمفسر أن يكون عالمًا بالقراءات والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ونحوها.

رابعًا: أن يكون عالمًا بالحديث رواية ودراية:
إذ إن أحاديث الرسول ﷺ هي المبينة للقرآن، بل قد قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن».[59]
وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «السنة تفسر القرآن وتبينه».[60]

[59] . كتاب الرسالة للشافعي, باب بيان فرض طاعة الرسول/الطبعة الأولى من مكتبة الحلبي بالقاهرة/ ص:93
[60] . كتاب أصول السنة للإمام أحمد/ طبعة دار المنار /ص: 28

خامسًا: أن يكون عالمًا بأصول الدين:
وهو علم التوحيد، حتى لا يقع في إثبات الأسماء والصفات في التشبيه أو التمثيل أو التعطيل.

سادسًا: أن يكون عالمًا بأصول الفقه:
إذ به يعرف كيف تستنبط الأحكام من الآيات، ويستدل عليها، ويعرف الإجمال والتبيين، والعموم والخصوص، والمطلق والمقيد، ودلالة النص وإشارته، ودلالة الأمر والنهي.. وغير ذلك (١).

سابعًا: أن يكون عالمًا باللغة وعلومها:
كالنحو والصرف والاشتقاق والبلاغة بأقسامها الثلاثة (المعاني والبيان والبديع).

ذلكم أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وهذه العلوم مما يتوصل بها إلى معرفة المعنى وخواص التركيب ووجوه الإعجاز فيه.

وهذه الشروط عزيزة المنال، ولهذا تحرج كثير من السلف من القول في القرآن بغير علم لتمكن الإيمان من قلوبهم، واستحضارهم الخوف من الله تعالى، وإذا رأينا من يجترئ على القول في القرآن بغير علم فاعلم أنه من نقص إيمانه، والله المستعان

آداب المفسر:

وكما أن للمفسر شروطًا فإن له آدابًا ينبغي عليه الالتزام بها وهي كثيرة منها:

1-الإخلاص

بأن يريد بعمله وجه الله وأن يطلب رضاه ولا يبتغي بذلك جاهاً ولا منصباً

2-العمل

فإنه إذا دعا إلى خير فعليه أن يكون أول المؤدين له حتى يلقى القبول من الناس, وإذا نهى عن أمر بجب أن يكون تاركاً له نابذاً إياه. إن الناس إذا رأوه يأمر ولا يعمل, وينهى ولا يمتثل نفروا عنه وعن أقواله وإن كانت حقاً

3-حسن الخلق في قوله وفعله وسمته, فإن هذا مما يجذب النفوس إليه, وإذا انجذبت إليه أقبل عليه السمع والبصر.

فعليه أن يلزم حسن الخلق في قوله وفعله.

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي تناول موضوع التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي وشروط المفسِّر، تبيَّن أن علم التفسير يُعَدّ من أشرف العلوم الشرعية وأدقّها، وذلك لارتباطه المباشر بفهم كتاب الله تعالى واستنباط معانيه وأحكامه. وقد ظهر لنا في هذا البحث أن التفسير بالمأثور يُمثِّل الأصل والأساس في بيان معاني القرآن الكريم، لاعتماده على القرآن نفسه، ثم السنة النبوية الصحيحة، وأقوال الصحابة والتابعين، مما يجعله أكثر ضبطًا وأبعد عن الخطأ والانحراف.

كما اتضح أن التفسير بالرأي ليس مذمومًا بإطلاق، وإنما يُقبَل إذا استند إلى أصول العلم الشرعي وقواعد اللغة العربية ومقاصد الشريعة، وخلا من الهوى والتكلّف، وكان منضبطًا بضوابط أهل العلم. أما الرأي المجرّد عن الدليل والمعرفة، أو التفسير القائم على الأهواء والمعتقدات الفاسدة، فهو مرفوض شرعًا لما فيه من الجرأة على كلام الله تعالى بغير علم.

وتبين لنا كذلك أهمية الشروط الواجب توافرها في المفسِّر، والتي تشمل سلامة العقيدة، والإحاطة بعلوم القرآن, مع جانب التقوى والورع وحسن القصد. فتوفر هذه الشروط يضمن سلامة الفهم ودقة التفسير، ويحول دون الوقوع في التأويل الفاسد أو التحريف.

في نهاية هذا البحث المتواضع أسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل وأن يرحمنا ويغفر لنا ذنوبنا إنه ولي لك والقادر عليه.

وصلى الله على عبده ورسوله محمد وآله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم القيامة.

فهرس المصادر

1.القرآن الكريم

2.صحيح البخاري, محمد بن إسماعيل البخاري, دار طوق النجاة /الطبعة الأولى 1422هـ

3.صحيح مسلم, مسلم بن الحجاج, دار إحياء التراث العربي بيروت/ الطبعة الأولى 1374 هـ

3. الإتقان في علوم القرآن, جلال الدين السيوطي, دار الفكر بيروت/ الطبعة الأولى 1416 هـ

4. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية, محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية, دار ابن حزم/الطبعة الرابعة 1440 هـ

5. الجامع لأحكام القرآن, شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي, دار الفكر/الطبعة الأولى 1987 م

6.الدور المنشور, جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي, دار الفكر الطبعة 1432 هـ

7.دراسات في علوم القرآن الكريم, فهد بن عبد الرحمن الرومي

8.البرهان في علوم القرآن, بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي, دار إحياء الكتب العربية/الطبعة الأولى 1376 هـ

9.زاد الميسر في علم التفسير, أبو الفرج بعد الرحمن بن علي بن الجوزي, دار الكتاب العربي/ الطبعة الأولى 1422هـ

10 أصول السنة, أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل, دار المنار /الطبعة الأولى 1411 هـ

11.سنن أبي داود, أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني, دار الرسالة العالمية/ الطبعة الأولى 1430 هـ

12.سنن الترمذي, أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي, دار الكتب العلمية/ الطبعة الثانية 1415 هـ

13.مباحث في علوم القرآن, صبحي بن إبراهيم الصالح, دار العلم للملايين بيروت/ الطبعة السابعة 1990م

14. مسند الإمام أحمد, أحمد بن محمد بن حنبل, دار الكتب العلمية بيروت/ الطبعة الأولى 1410 هـ